

اللهجات: أسباب النشأة وعوامل التطور

ملخص: يهدف البحث إلى الوقوف على أهم العوامل المساهمة في نشأة اللهجات، فتتجيز بذلك كل لهجة عن اللغة الأم وعن شقيقتها من اللهجات بسبب خاصية، هذا أن كل لغة من لغات العالم كانت يوماً ما لهجة لإحدى اللغات، وبناظر العوامل الجغرافية والاجتماعية والفردية واللغوية، أضحت هذه اللهجة لغة قائمة بذاتها، لها خصائصها الصوتية والنحوية والدلالية المميزة.

L'objectif de notre travail consiste à aborder le concept de « dialecte » notamment les facteurs ayant participé à sa naissance autrement dit, à l'émergence de dialectes.

Tout d'abord, la pluralité dialectale se caractérise par des particularités et spécificités propres à chaque dialecte. De plus la distinction entre « dialecte » et « langue mère » est omniprésente néanmoins, on peut ne pas nier qu'à l'origine « la langue » était « un dialecte » et grâce aux différents facteurs (géographiques, sociaux, individuels et linguistiques) qu'elle est devenue une langue à part entière. Cette dernière, ne doit pas être confondue avec le dialecte en raison de son statut et ses traits phonologiques, grammaticaux et sémiologiques.

مقدمة

لقد اتجه علم اللغة الحديث إلى دراسة الواقع المحلي للغة في صورتها المنطوقة بغرض الكشف عن أسرارها، ومن هنا نشط الاهتمام بدراسة اللهجات المحكية للتعرف على خصائصها ورصد حركة التغير اللغوي من المستوى الفصح إلى العامي والعكس.

ذلك أن دراسة اللهجات المعاصرة ذات أهمية كبرى إذ بواسطتها يمكن التعرف على الكثير من الظواهر اللغوية الشائعة فيها والكشف عن التطور الحاصل في بنيتها، كما أن البحث في اللهجات لا يقل أهمية عن البحث في اللغة الأم (الفصحى)، ودراسة اللهجات الحديثة على ضوء منهج علمي سليم يثمر نتائج وفوائد محمودة منها:

- 1- خدمة الفصحى والتقريب اللغوي بينها وبين العاميات العربية.
- 2- بيان صلة اللهجات الحديثة باللهجات العربية القديمة، إذ أن كثير من الخصائص اللهجية ما هي إلا امتداد لبعض اللهجات القديمة.
- 3- الوقوف على التغيرات اللغوية التي اعترت اللهجة على مر الأزمان ومعرفة الأصيل منها والدخيل.
- 4- معرفة مدى صلة اللهجات الحديثة بخصائص اللغة المشتركة (الفصحى) وميزاتها الصوتية.

لذا فقد عني اللغويون المعاصرون بدراسة بعض اللهجات الحديثة من جميع جوانبها، الأصوات، الصرف، النحو والدلالة، لمعالجة الظواهر اللغوية وبيان التطور التاريخي الذي مرت به. وعلم اللهجات فرع من فروع الدرس اللغوي الحديث الذي ظهر في أوروبا نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهو العلم الذي يدرس انقسام لغة ما إلى عدة لهجات ويبحث في الأسباب المؤدية إلى هذا الانقسام، والصلة بين اللغة الأم وما تفرع عنها من لهجات، كما يدرس العلاقة بين كل لهجة وشقيقتها وخصائص كل واحدة، والعلاقات التي تنشأ بينها، وما يعرض لها في تطورها من صراع وتفاعل وقوة وضعف، وتأثيرها وتأثرها بغيرها، ثم استنباط القوانين التي سارت عليها اللغة في كل ذلك. وعلى ضوء ما تقدم جاء هذا البحث ليعالج المسائل التالية:

- 1- مفهوم اللغة.
- 2- مفهوم اللهجة.
- 3- العلاقة بين اللغة واللهجة.
- 4- الأسباب المؤدية إلى نشأة اللهجات.

اللغة: يعرفها "ابن جنى" على أنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" ⁽¹⁾، ويعرفها "ابن خلدون" في قوله "أعلم أن اللغة في المتعارف عليه، هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لسانی ناشئ عن قصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متفرقة في العضو الفاعل لها، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم" ⁽²⁾.

هذا في تعريف علماء العرب القدماء بينما هناك تعريفات عديدة خصصها بها علماء الغرب، فنظر إليها كل من زاوية تخصصه وأهمها: عند "فرديناندتي سويسر": "اللغة تنظم من الإشارة الفارقة..." ⁽³⁾، وعند "ديوي": "هي أداة اتصال وتعبير تحتوي على عدد من الكلمات بينها علاقات تركيبية تساعد على نقل الثقافة والحضارة عبر الأجيال..." ⁽⁴⁾. أما عند "تشموسكي" فهي "ملكة فطرية عند المتكلمين بلغة ما لتكوين وفهم جل نحوية..." ⁽⁵⁾.

ونستشف من هذه التعريفات قديمها وحديثها أن اللغة وسيلة للتعبير والتواصل تصدر عن الإنسان في شكل أصوات معبرة عن أغراضه وحاجاته في شؤون الحياة. وجدير بالذكر أن كلمة "اللغة" لم تعرف طريقها إلى الظهور بين مفردات العربية إلا بعد انتهاء القرن الثاني الهجري، وقد أطلقت آنذاك على ما جمعه الرواة من البادية عن العرب الفضحاء بعد فشو اللحن... ولم يطلق على الرواة وهم القائمون بفنون اللغة لفظ (اللغوي) إلا في القرن الرابع، بعد أن استفاض التصنيف في اللغة وتمايزت العلوم العربية واستعجمت الدولة فصار صاحب اللغة يعرف بها... ⁽⁶⁾

اللهجة: اشتقاقها: ورد اشتقاقها بوجهين:

- 1- أنها مأخوذة من لهج الفصحى بفتح أمه: إذا تناول ضرع أمه يمتصه ولهج الفصحى بأمه يلهج إذا اعتاد رضاعها فهو فصيح لاهج.
 - 2- أنها مشتقة من لهج بالأمير لهجا ولهوج بالهيج يعني أولع به واعتاده أو أغرى به فتأثر عليه والمهيج بالشئ: الولوع به ⁽⁷⁾. وكل من الوهمين مناسب لوجود العلاقة بين أصل الاشتقاق وطريقة النطق التي يتبعها الإنسان فاللغة يتلقاها الإنسان عن ذويه ومخاطبيه كالفصحى الذي يتناول ضرع أمه فيمتصه كما أنه حين يتعلم اللغة يتعلم بها ويولع كمن يتعلّق بشيء معين ويولع به... ⁽⁸⁾.
- أما في الاصطلاح العلمي الحديث فهي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشارك في هذه الصفات أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها ولكنها تشترك جميعها في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات ببعضهم البعض وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهم يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات ⁽⁹⁾.

في حين يرى الدكتور عبد الغفار حامد هلال أنها "طريقة معينة في الاستعمال اللغوي توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة" ⁽¹⁰⁾، كما أنها عبارة عن قيود صوتية تلاحظ عند الأداء، أو هي مجموعة صفات لغوية تنتمي إلى بيئة لغوية خاصة ⁽¹¹⁾.

ومما سبق يمكن القول بأن اللهجة هي مجموع السمات اللغوية التي ينطق بها سكان بيئة معينة للتعبير عن أغراضهم، فيتميزوا بها عن غيرهم من اللهجات أو عن اللغة الأم، واللهجة بهذه الصفات لا تنفصل تماما عن اللغة الأم، بل بينها وبين اللهجات الأخرى مميزات عدة تجمع بينهم، إذ أنها انحدرت من تلك اللغة، واحتفظت مع مرور الزمن بما يناسب ظروفها وحياتها البيئية. العلاقة بين اللغة واللهجة: هي علاقة العام بالخاص، فاللهجة لا يفصل بينها وبين اللغة الأم (الفصحى) سوى بعض المميزات والصفات الصوتية وبعض التغيرات في التراكيب والدلالة، وبهذا تكون عناصر الانتماء إليها هي الغالب، لتيسير التفاهم بين بنيات اللغة الواحدة⁽¹²⁾.

وهذا يعني أن كل لغة كانت يوما ما لهجة من لهجات كثيرة للغة من اللغات، ثم حدثت عوامل كثيرة أدت إلى موت اللغة الأم أو اندثارها وانتشار كل بنت من بناتها في بقعة من الأرض، مكونة لغة لها خصائصها وميزاتها التي تفردها عن أخواتها، وقد حدث ذلك في اللغات السامية المختلفة وكلها كانت في الأصل لهجات للأمة التي ماتت واندثرت من قديم الزمان...⁽¹³⁾. ويوضح "الدكتور إبراهيم أنيس" هذه العلاقة في قوله: "العلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة الخاص بالعام، فاللهجة مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشارك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، واللغة تشمل على عدة لهجات لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات"⁽¹⁴⁾.

أسباب نشأة اللهجات:

إن اتساع رقعة الأقاليم يؤدي إلى تعدد ظروف سكانها جغرافيا، واجتماعيا، وسياسيا، ومن ثم إلى تشعب اللغة التي ينطقونها إلى لهجات متعددة، وذلك لقلة احتكاك أبناء هذا الإقليم، فتعزل كل لهجة من اللهجات مع مرور الزمن بمميزات وصفات لغوية تقل وتكثر بحسب قربها وبعدها من اللغة الأم وبحسب احتكاكها بالبنيات الأخرى وتأثرها بها. كما أن اللغات قد تنتشر في مساحات واسعة من الأرض... فمع أهلها تدخل أراضي جديدة وتتصارع مع لغات جديدة، نتيجة الغزو والاستعمار، أو مع زيادة الناطقين بها زيادة طبيعية عن طريق الغزو، وذلك قد يدعو إلى انقسامها، وقد تساعد على ذلك عوامل أخرى اجتماعية وسياسية ونفسية وفيزيولوجية وجغرافية، فلا ريب أن الجماعات المختلفة على هذا النحو تختلف لغاتهم، بل تنقسم إذا كانت واحدة ثم اختلفت عليها العوامل⁽¹⁵⁾.

ولما كانت اللغة كائن حي اجتماعي يتغذى من مختلف العوامل المحيطة به، واللغة تتطور وتتموه فهي تشبه الإنسان في نموه ومروره بمراحل مختلفة، ولما لاشك فيه أن اللغة منذ زمان بعيد تنفر إلى اللهجات، وهذا الذي يجزنا إلى البحث في أسباب نشأة اللهجات⁽¹⁶⁾. ولا تنتشر اللغة أسباب كثيرة يرجع أهمها إلى ما يلي:

أ- أن تشبك اللغة في صراع مع لغة أو لغات أخرى، وتقضي نواويس الصراع اللغوي أن يكتب لها النصر، فتحل مناطق اللغة أو اللغات المتفجرة فيتسع بذلك مدى انتشارها، وتدخل أم جديدة في عداد الناطقين بها.

ب- أن ينتشر أفراد شعب ما على إثر هجرة في مناطق جديدة بعيدة عن أوطانهم الأولى، وتكون من سلالاتهم بهذه المناطق أمة أو أم كثيرة السكان فيتسع بذلك مدى انتشار لغتهم وتعد الجماعات الناطقة بها ويكثر أفرادها.

ج- أن يتناح جماعات ما أسباب موالية للغة الطبيعية في أوطانها الأصلية نفسها، فيأخذ أفرادها وطوائفها في الزيادة المطردة وتنشط حركة العمران في بلادها فتكثر فيها المدن والقرى، وتعدد الأقاليم والمناطق فيتسع تبعاً لذلك نطاق لغتها ومدى انتشارها⁽¹⁷⁾.

ويضح مما سبق أن سعة انتشار اللغة عامل أساسي في نزع اللغة إلى لهجات، غير أنه لا يؤدي إلى ذلك بشكل مباشر، بل يتيح الفرص لظهور عوامل أخرى تؤدي إلى هذه النتيجة وباستقراء هذه العوامل من لبن علماء اللغة، توصلوا إلى أن هذه العوامل هي:

أ- عوامل جغرافية: وتحتل فيها بين سكان المناطق المختلفة من فروق في الجو وطبيعة البلاد وبيئتها وشكلها وموقعها وما إلى ذلك، وفيها يفصل كل منطقة عن غيرها من جبال وأنهار وبحار وبحيرات، باختلاف المناطق في ذلك يؤدي عاجلاً أو آجلاً إلى فروق وفواصل في اللغات⁽¹⁸⁾.

فمن المقرر في نواويس اللغات أنه متى انتشرت اللغة في مناطق واسعة من الأرض وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس، استحال عليها الاحتفاظ بوحدها الأولى أمداً طويلاً بل لا تلبث أن تشعب إلى لهجات، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات في سبيل تطورها منها بمختلف عن منهج غيرها ولا تفك مسافة الخلف تنسج بينها حتى تصبح كل لهجة منها لهجة متميزة غير مفهومة إلا لأهلها وبذلك يتولد عن اللغة الأولى فصيلة أو شعبة من اللهجات يختلف بعضها عن بعض في كثير من الوجوه، ولكنها تظل مع ذلك متفقة في وجوه أخرى⁽¹⁹⁾.

والواضح أن اللغات الإنسانية خضعت لهذا القانون منذ نشأتها الأولى إلى العصر الحاضر، وكثيراً ما يبقى الأصل الأول مدة من الزمن لغة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللهجات المتفرعة منه، كما يظهر ذلك في اللغة العربية حين انقسمت إلى لهجة مصرية، جزائرية، عراقية... وهذا ما سبب صعوبة في فهم العربي لهجة غيره، غير أنه قد خفف من أثر هذا الانقسام اللغوي بقاء العربية الأولى بين هذه الشعوب لغة أدب وكتابة ودين.

ذلك أن للبيئة الجغرافية أثر لا يستهان به في تحديد سمات اللغة فنشأت فروق كبيرة في مختلف مظاهر اللغة بين سكان المناطق الحارة والمعتدلة، وبين سكان المنطقة الباردة، وبين سكان المناطق الشمالية والوسطى والجنوبية، ونشأت فروق غير يسيرة بين أفراد الفصيلة اللغوية الواحدة، بل بين لهجات اللغة الواحدة⁽²⁰⁾.

وهذا مرده إلى اتساع رقعة المتكلمين بلغة ما، وما تلبث بعد ذلك أن تشعب إلى لهجات تتمايز فيما بينها⁽²¹⁾ لا بين المناطق المتباعدة، بل بين الأحياء في المدينة الواحدة أحياناً⁽²¹⁾، فتصبح بذلك لكل مدينة أو قرية لهجتها الخاصة وقد وضع الفرنسيون لهذه الصورة الكلامية المحلية غير المكتوبة إسم "patois"⁽²²⁾.

إذ تعد البيئة الجغرافية عاملاً أساسياً وجوهرياً في نشأة اللهجات، وما يؤكد هذه الأهمية، قول "الدكتور عبده الراجحي": "فإذا كان أصحاب اللغة الواحدة يعيشون في بيئة جغرافية واسعة، تختلف الطبيعة فيها من مكان لكان كان توجد جبال، أو وديان تفصل بقعة عن أخرى بحيث ينشأ عن ذلك انعزال مجموعة من الناس عن مجموعة، فإن ذلك يؤدي مع الزمن إلى وجود لهجة تختلف عن لهجة ثانية تنتمي إلى نفس اللغة، فالذين يعيشون في بيئة زراعية مستقرة يتكلمون لهجة غير التي يتكلمها الذين في بيئة صحراوية بادية"⁽²³⁾.

فمتى انتشرت جماعة لغوية تعيش في مكان معين على أرض واسعة تختلف طبيعتها فإن ذلك يؤدي مع تطاول الزمن، إلى انشعاب اللغة إلى لهجات، وإذا كانت البيئة تؤثر على سكانها جسمياً وخلقياً ونفسياً كما هو الواقع، فإنها كذلك تؤثر على أعضاء النطق وطريقة الكلام⁽²⁴⁾.

وفعلاً فالبيئة الجغرافية تختلف، فنجد الجبال والسهول والوديان، كما نجد الأراضي الزراعية الخصبة والقاحلة، واختلاف البيئة الجغرافية يؤدي إلى اختلاف اللغة وتفرعها إلى لهجات مختلفة⁽²⁵⁾ ولو أمكن أن نتحد تلك الظروف لا اتخذ الكلام طريقاً واحداً في تطوره، وشكلاً واحداً في تغيره ولظلت البيئات المنعزلة ذات لهجة واحدة لا تشعب إلى صفات متباعدة، ولكن الواقع المشاهد أن البيئات متى انعزلت اتخذت أشكالاً متغيرة في تطور لهجاتها⁽²⁵⁾.

وعلى هذا فكلما كثرت مسافة الانحدار الجغرافي بين أفراد المجتمع سوف تعطي دفعا وتأثيراً على التغيير والانتشار اللهجين، إذ كان كل شيء عادل فالناس الذين يقطنون بقرب آخرين يكونوا متشابهين في تبني التجديد والابتكار، على عكس الذين يقطنون بعيداً عن بعضهم البعض، وهذا ما يطلق عليه في علم الاجتماع اللغوي بنظرية التأثير الجوارى "Neighbour Hood affect"⁽²⁶⁾.

فحين تنصور لغة من اللغات قد اتسعت رقعتها وفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية أو اجتماعية، نستطيع الحكم على إمكان تشعب هذه اللغة إلى لهجات عدة، تفصل جبال أو أنهار أو صحاري أو نحو ذلك، بين بنيات اللغة الواحدة ويترتب على هذا الانفصال قلة احتكاك أبناء الشعب الواحد بعضهم ببعض أو انعزال بعضهم عن بعض، ونتيجة هذا تكون مجاميع صغيرة من البيئات

اللغوية المنعزلة التي لا تلبث بعد مرور قرن أو قرنين أن تتطور تطوراً مستقلاً يباعد بين صفاتها ويشعبها إلى لهجات مختلفة⁽²⁷⁾، ذلك يعني أن كل لغة كانت في يوم ما لهجة من لهجات كثيرة للغة من اللغات، وتحت تأثير الانفصال الجغرافي، اندثرت اللغة الأم وانتشرت الأشكال اللهجية الأخرى مكونة لغة لها خصائصها ومميزاتها عبر مرور الزمن. وقد أكدت الدراسات اللغوية أن اللغة تتماشي والبيئة الجغرافية للمناخ الصحراوي يؤدي إلى نشأة لهجة تمتاز بخشونة أصواتها، ذلك أن الأصوات تنتشر في مسافة شاسعة، لا يمنعها مانع، بينما تميل المناطق الحضرية إلى الهمس لأن الأصوات تنتشر في أماكن ضيقة.

ومن أجل ذلك غزت في اللغة المفردات التي تدور حول مظاهر الخيال والتشبيه مستمدة من مظاهر البيئة وما اختصت به طبيعة البلاد من تلبذ أو صفاء، وقبح أو جمال، وصخب أو هدوء، وقلوب أو ثبات وما ينبعث عنها من رخاوة أو قوة، وخمول أو نشاط وخشونة أو نعيم⁽²⁸⁾.

وغني عن البيان أن الأراضي التي تنعم بالخصوبة ومنه العيش أين تكون مناطق جذب وتجمع للسكان، بينما هناك أراض قاحلة ينفر منها أصحابها كجفافها وعمق أراضيها، فالمسكن يؤثر على اللغة، فإذا كان السكان محللين متفرقين فإن هذا التبديد يساعد على الانقسام إلى لهجات، وإذا كان السكان يعيشون مجتمعين في محلات ومدن فإن هذا من الحياة يساعد على خلق اللغات المشتركة⁽²⁹⁾.

ولما كان للعامل الجغرافي أيما أثر في تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات، عكف علماء اللغة على رسم خرائط لغوية وسموها بـ "الأطالس اللهجية" والهدف منها هو الكشف عن الحدود الجغرافية لتوزيع مميزات لغوية عادة ما ترمي إلى حد لهجي، يتوافق هذا الحد مع عامل جغرافي أو سياسي معين مثل سلسلة جبال، أو نهر، أو حد ولاية....

فقد اقتبس علم اللغة، منذ أكثر من نصف قرن مضى، طرق علم الجغرافيا ليضع حدوداً لغوية لللهجات المختلفة في خرائط تبين معالم كل لهجة وتفرق بين لهجة وأخرى ولا تختلف هذه الخرائط عن خرائط الجغرافيا، إلا في أن ما يدون عليها ظواهر لغوية، تطلع القارئ على أدق الفروق في الأصوات والمفردات بين اللغات المختلفة واللهجات المتباينة⁽³⁰⁾.

وجدير بالذكر أن علماء العرب القدامى قد فطنوا إلى أن خصائص الإقليم الطبيعية تطبع لغة سكانه، ولا حظوا الفروق اللغوية بين لغات القبائل فكان "توثيق اللغة العربية ولهجاتها وأثارها الأدبية قبل جمعها وتدوينها قائماً على أوصاف مركزية وتوقعات جغرافية واضحة، وهذا ما يجرنا إلى القول بأن العرب قد أدركوا بشكل أو بآخر البعدين اللذين يقوم عليهما علم اللهجات واللسانيات الجغرافية اللذان لم يريا النور عند الغربيين على نحو أسس علمية وأكاديمية إلا مع بداية المنتصف الثاني من القرن العشرين⁽³¹⁾.

وفعلاً فإن الرواة رفضوا الأخذ عن تلك القبائل المتطرفة التي كانت مساكنها حدود الجزيرة العربية المتاخمة للفرس والقيط... لا احتمال تأثر العرب بهم بينما آثروا الأخذ عن القبائل المتوغلّة في أعراق الجزيرة، وهذا إدراكاً منهم لمكانة البعد الجغرافي على اختلاف اللهجات.

وهذا يجعلنا إلى القول "بأن أول علم منهجي ولساني عرفه العرب هو اللسانيات الجغرافية أولاً، وعلم اللهجات ثانياً، ذلك ما لفت انتباههم من كلمات محلية على مستوى جبال وأودية وقرى وأرياف شبه الجزيرة العربية بكاملها منذ العصر الجاهلي ومع مطلع العصر الإسلامي، هو الذي تولّد عنه علم اللهجات⁽³²⁾.

وخلاصة القول أن لاختلاف الرقعة الجغرافية أثر واضح في انقسام اللغة وتشعبها إلى لهجات "فاللغة كالشجرة تتدلى فروعها إلى أسفل فتلامس التربة، وترسل جذورها تصبح أشجاراً فنية فيما بعد⁽³³⁾ واتساع الرقعة الجغرافية يعمل على تشعب المجرى وتجزئه إلى مجار صغيرة مختلفة⁽³⁴⁾، فكان الطبيعة تسم الألسن كما تسم الوجوه.

بـ **العوامل الاجتماعية**: اللغة ظاهرة اجتماعية لا يمكن أن توجد منعزلة عن المجتمع البشري، فهي تحيا فيه، وهو يحيا بها، كما أنها تؤثر فيه وتتأثر به، إذ أن اختلاف الأفراد داخل المجتمع الواحد، في النظم الاجتماعية والعرف والتقاليد والعادات، ومبلغ الثقافة ومناحي التفكير والوجدان، يؤدي إلى اختلاف اللغة ومنه نشأة اللهجات الاجتماعية داخل اللغة الواحدة.

هذا أن المجتمع الواحد يتفرع إلى طبقات كما يؤكد الدكتور "عبد الغفار حامد هلال" ذلك في قوله: "المجتمع الواحد قد توجد فيه الطبقات الأرستقراطية والدنيا، أو الطبقات الصناعية والزراعية والتجارية، وغيرها من أرباب المهن المختلفة، ويقدر ما يوجد من تلك المظاهر تنفر لغات المجتمعات وتختلف⁽³⁵⁾.

ومنه يتضح أن اختلاف العوامل الاجتماعية يؤدي حتماً إلى اختلاف اللهجات، فالمجتمع يتباين طبقاته، إذ نجد فيه طبقة غنية، وأخرى متوسطة وثالثة فقيرة، فالطبقة الغنية تتفق في كلامها وتتخير ألفاظها لأنها تمثل أرقى الطبقات، وبالتالي فهي تحاول أن تبدأ في أحسن صورة على جميع الأصعدة، بينما تتميز لغة الطبقة المتوسطة والفقيرة بالبساطة والعفوية تبعاً لبساطة حياتها.

كما أننا نلاحظ اختلافات لهجية في الإقليم الواحد، تبعاً لاختلاف المهن فيه، فلهغة الطبيب تختلف عن لغة المحامي، كما تختلف لغة الصناع عن لغة الزراع والتاجر... وهذا ما يعرف في علم اللغة الحديث باللغة الوظيفية أو المهنية "occupational language" ذلك أن لهجة ما داخل مجتمع ما تتحدد طبقاً للوظيفة التي يمتثلها المتكلم.

فالمستمع مثلاً لن يخفى في التعرف على المستوى الاجتماعي والثقافي لمنكلمه مامن خلال لهجته أو نطقه لبعض المفردات، ويقر فندريس أن هذه الأسباب تؤدي إلى نشأة ما يسميه "بالعاميات الخاصة" "les argots" إذ يقول: "يوجد من العاميات الخاصة بقدر ما يوجد من جماعات متخصصة والعامية الخاصة تتميز بتنوعها الذي لا يحدو في تغير دائم تبعاً للظروف والأمكنة، فكل جماعة خاصة، وكل هيئة من أرباب المهن لها عاميتها الخاصة⁽³⁶⁾.

وفي الصدد نفسه يؤكد الدكتور وافي "أن اللغة تتأثر في تطورها وارتباطها بعوامل كثيرة يرجع أهمها إلى أربع طوائف... وثالثتها عوامل اجتماعية ونفسية وجغرافية، كحضارة الأمة ونظمها وعاداتها، وتقاليدها وعقائدها، وثقافتها، واتجاهاتها الفكرية، ومناحي وجدانها ونزوعها، وبيئتها الجغرافية... وما إلى ذلك⁽³⁷⁾.

ومنه فإن المجتمع الإنساني بطبقاته المختلفة يؤدي إلى الاختلاف اللهجي، باعتبار أن كل طبقة تتخذ لهجة تتماشي وفق مستواها الاجتماعي، وعليه فانتشار اللغة في بيئات مختلفة، يكون للهجات لا تلبث أن تستقبل وتتميز بسمات خاصة لأن الأصل في تشعب اللغات تشعب الجماعات، لأن اللغة... ينتبذ الاجتماع⁽³⁸⁾.

فكل مجموعة إنسانية، مهما صغرت لها لغتها الخاصة بها، فهناك في دائرة الأسرة والمكتب، والمصنع ومطاعم الجند، وتوالد الكلمات والعبارات والمعاني الهامشية، وطرق التعبير الأخرى، التي تختص بهذه البيئات والتي يصعب إدراكها على من لم ينتم إليها، وهكذا هو الحال في المجموعات الكبرى، التي يربطها رباط المصالح المشتركة، كالمهنة، والحرفة، والتجارة، والانتماء إلى مختلف فروع العلم والفن والصحافة... فلكل من هذه المجموعات ثروتها اللفظية الخاصة بها، وهي ثروة تعكس خصائص الموضوعات والمناقشات التي يتناولها الأعضاء فيما بينهم، وتسهل اتصالهم بعضهم ببعض، وتزيد الهوية التي تفصلهم عن غيرهم⁽³⁹⁾.

ويطلق الدكتور "كمال بشر" على هذا التنوع اللغوي "اللهجة المحلية" فكل لغة أو لهجة محلية تبدو فيها تنوعات كلامية قليلة أو كثيرة في بيئتها تعادل تنوعات البيئة الاجتماعية في المجتمع المعين، ويقدر الاختلاف في البيئة الثانية يكون الاختلاف في الأولى، فمن المعلوم أن كل مجتمع ينتظم في إطاره طبقات أو فئات من الناس تختلف في ما بينها اقتصادياً وثقافياً وسياسياً، كما تختلف من حيث منزلتها في السلم الاجتماعي⁽⁴⁰⁾.

وما سبق نستشف أن اللغة مرآة عاكسة للمجتمع الذي تحيا فيه، فعقائد الأمة وتقاليدها ومبادئها في التشريع والقضاء والسياسية والتربية وحياة الأسرة، وما تنبئه من نظم تخص الموسيقى والرسم والعمارة وسائر الفنون، كلها تصبغ اللغة بصبغة خاصة، وتشعبها إلى لهجات متباينة تختلف في كثير من ظواهرها اللغوية، تبعاً للمستوى الاجتماعي الذي يتنسب إليه الفرد.

جـ **عوامل فردية**: لقد أثبت علم اللغة الحديث أن لكل إنسان لهجته الخاصة بها، وأن هناك لهجات في اللغة بقدر ما هناك من أفراد يتكلمون هذه اللغة، فاللغة وإن كانت واحدة لا يتكلمها الأشخاص بنفس الطريقة، واختلاف الأفراد في النطق يؤدي مع مرور الزمن إلى نشأة اللهجات.

ولو ذهبنا بالتطويل أبعد من ذلك لأمكننا أن نقول أن كل شخص على حده له خصائصه النطقية التي تميزه عن غيره حتى من بين أعضاء أسرته المقربين والتي تسمح لأصدقاءه ومعارفه بأن يميزوه في حاله عدم رؤيته عن طريق صوته، هذه الصورة الفردية للكلام تسمى العادات الكلامية "idiolects"⁽⁴¹⁾.

وعلى الرغم من أن اللغة واحدة فهي متعددة بتعدد الأفراد الذين يتكلمونها، والمسلم به أنه لا يتكلم شخصان بصورة واحدة لا تفرق⁽⁴²⁾ واختلاف الأفراد في النطق يؤدي مع مرور الزمن إلى تطوير اللهجة، أو إلى نشأة لهجات أخرى⁽⁴³⁾.

ذلك أن هناك نمطا من الاستعمال اللهجي يتعلق بالجوانب الشخصية لدى الفرد المتكلم أثناء انجازه الفعلي للخطاب، فلكل شخص خصائصه النطقية والتعبيرية التي يمتاز بها عن سواه من المتكلمين وأهم هذه الخصائص:

أ- البصمة الصوتية التي تختلف من شخص إلى آخر.

ب- العادات اللغوية التي تظهر في عملية التللفظ.

ج- الشعور بالانتماء المهني والحرفي وأثره في القاموس اللغوي عند الفرد المتكلم⁽⁴⁴⁾.

ويطلق الدكتور "أنس فرجة" على هذه الظاهرة بالمغايرة الفردية وهو يرى "أن هذه المغايرة طبيعية عفوية، ولا نعلم السبب في ذلك كما أننا لا نعلم لماذا لا تشبه جبة قمح جبة أخرى في عرمة من القمح... فكان الطبيعة تكره الوحدة uniformity وتميل إلى المغايرة"⁽⁴⁵⁾.

ويمكن أن يضاف إلى اختلاف الأفراد في النطق عنصر آخر وهو خطأ الأطفال، فثمة أطفال يخطئون في كلامهم فيستعملون مقلوب الكلمة مثلا، فإن عاش هؤلاء الأطفال بمناى عن يقوم ألسنتهم، أصبحت هذه الأخطاء بعد مرور الزمن عادات لهجية خاصة، وخاصة إذا شيع الكبار ذلك لتسهيل النطق على الطفل.

ذلك أن الطفل إذا انخر في الكلام بلهجة أبيه، ولم يجد من يعنى بتصحيح هذا، والإبقاء على صورة معينة في الكلام، فأخذت اللغة مجراها الطبيعي وتغيرت جيلا بعد جيل... وهذا هو السر فينا لنحظه من فروق خطيرة بين لهجة الكلام واللغة الفصحى... ويعزى هذا في غالب الأحيان إلى أخطاء كلامية بين الناشئين تركت دون إصلاح أو لفت نظر، فتراكت وبعدت عن الأصل بحيث أصبح من العسير إرجاعها إلى ذلك الأصل إلا بجهد ومشقة⁽⁴⁶⁾.

ونوه الدكتور "عبد الرأجي" إلى أن أخطاء الأطفال يمكن أن تصير عادات لهجية إذا لم تجد من يصوبها فيقول: "ويمكن أن يلتحق بهذا ما يسمى "بخطأ الأطفال" و "القياس الخاطئ" فنحن مثلا نسمع بعض الأطفال يقول "أخضره" في مؤنث "أخضر" فإذا عاش هؤلاء الأطفال في معزل عن يقوم لهم ألسنتهم كان يكون أبائهم مشغولين في الغزو أو في طلب الرزق، أصبحت هذه الأخطاء بعد فترة من العادات لهجية⁽⁴⁷⁾.

ويؤكد ذلك أيضا في موضع آخر إذ يقول: "ومن الأسباب المعروفة في تطور اللغات ما يقرره اللغويون من نشأة "أخطاء" لغوية تظل دون تصحيح لطروف معينة إلى أن تصبح مستوى لغويا مقرا بعد ذلك.."

وصفة كل هذا أن التباديات اللغوية الفردية للمتكلمين تؤدي مع الزمن إلى اختلاف اللهجات وابعادها عن اللغة الأم، يضاف إلى ذلك أخطاء الأطفال التي لا تجد محلا من التصويب والتقويم لدى الكبار فتساهم بدورها في تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات متمايزة⁽⁴⁸⁾.

د- احتكاك اللغات (الصراع اللغوي): يحدث بين اللغات ما يحدث بين أفراد الكائنات الحية وجعاعتها من احتكاك وصراع وتنازل على البقاء، وسعي وراء الغلبة والسيطرة، وتختلف نتائج هذا الصراع بين اللغات باختلاف الأحوال، فتكثر مظاهره كلما طال أمد احتكاك اللغتين وكان النزاع بينهما عنيفا والمقاومة قوية من جانب اللغة المتهورة، وتقل مظاهره كلما قصرت مدة الصراع أو خفت وطأة النزاع، أو كانت المقاومة ضعيفة من جانب اللغة المغلوبة⁽⁴⁹⁾. فالاحتكاك بين لغتين متجاورتين لا يحدث دائما على وتيرة واحدة في كل الحالات، ذلك لأن قوة اللغات ليست واحدة ومن ثم اختلفت قدرتها على المقاومة⁽⁵⁰⁾.

والواضح أن اللغات تتداخل وتتلاقح كلما اتصلت إحداها بالأخرى بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وأن أي لغة من لغات العالم تؤثر في غيرها وتتأثر بغيرها، ولا تكاد تخرج لغة عن هذا القانون.

فإنه من المعتذر أن تظل لغة بآمن من الاحتكاك بلغة أخرى⁽⁵¹⁾، وتطور اللغة مستقر في معزل عن كل تأثير خارجي، يعد أمرا مثاليا لا يكاد يتحقق في أية لغة، بل على العكس من ذلك، فإن الأثر الذي يقع على لغة من لغات مجاورة لها، كثيرا ما يلعب دورا هاما في التطور اللغوي، ذلك لأن احتكاك اللغات ضرورة تاريخية واحتكاكها يؤدي حتما إلى تداخلها⁽⁵²⁾. ويتبع اللغويين مسيرة الصراع اللغوي بين اللغات بهدف البحث عن الأسباب التي تجعل لغة ما أكثر انتشارا من لغة أخرى وبقائها صامدة أمام غزو اللغات الأخرى، ذكر عبد الصبور شاهين أن العامل الحضاري والثقافي للغة هو الأهم في التأثير والتأثر بين اللغات، والعامل الثاني هو كثرة الناطقين باللغة⁽⁵³⁾. ويمكن حصر تلك الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى التأثير والتأثر بين اللغات كالآتي:

أ- الغلبة في الصراع والانتصار في الحرب، والمتهور مولع بتقليد الغالب وخاصة إذا كان للمنصر حضارة وثقافة ورقية وليس للمنهزم شيء من ذلك.

ب- وكذلك الهجرة القومية المكثفة، أو الاستعمار الثقيل بقضية وقضية سبب رئيسي من أسباب التأثر والتأثير وانتشار اللغات.

ج- وتتأثر اللغات بالاحتكاك عن طريق المجاورة أو التجارة، وكذلك أثناء الحروب، فالإنجليزية والفرنسية والبرتغالية مثلا تتعارض المفردات وتأثر كلها أيضا ببعضها بسبب الحروب التي قامت في أوروبا.

د- العلاقات الثقافية والحضارية بين الشعوب لها أثر عميق في التبادل والتأثير والتأثر بين اللغات في العالم⁽⁵⁴⁾.

ومنه يتضح أن اللغات تأثر وتتأثر نتيجة احتكاكها بعضها ببعض ولهذا الاحتكاك دوافع منه ما هو اجتماعي، ثقافي، ديني، أو استعماري أو تجاري، فيتسع مجال اللغة وتتطور، وترداد حيوتها، وتلك سنة اللغات حين تتعايش وتحتك وتتجاوز.

ويرى الدكتور "علي عبد الواحد" في أن هذا الصراع ينشأ عن عوامل كثيرة أهمها عاملان: "أن ينزع إلى البلد عناصر أجنبية تنطلق بلغة غير لغة أهلها، وآخر أن يتجاوز شعبان مختلفان اللغة، فيتبدل المنافع ويحتاج لأفرادها فرص الاحتكاك المادي والثقافي... وتزوج عناصر أجنبية إلى البلد قد يحدث على إثر فتح أو استثمار أو حرب أو هجرة، فتشتبك اللغتان في صراع ينتهي إلى إحدى النتيجتين، فأحيانا تنصهر لغة منها على الأخرى، فتصبح لغة جميع السكان قديمهم وحديثهم، أصيلهم ودخيلهم، وأحيانا لا تقوى واحدة منها على الأخرى فتعيشان معا جنباً إلى جنب... ومثل ذلك ما نجم عن فتوح العرب في إفريقيا وآسيا أن تغلبت لغتهم على كثير من اللغات السامية الأخرى، وعلى اللغات القبطية والبربرية والكوشية، فأصبحت العربية لغة الحديث والكتابة"⁽⁵⁵⁾.

أنواع الصراع اللغوي: لقد استقرأ المحدثون من علماء اللغة الأمثلة التاريخية للصراع اللغوي فاستقرت آرائهم على الأنواع التالية:

1- غزو كان الغزاة فيه قبلي العدد، قد اقتصر على جيش كامل العدد... فلما وضعت الحرب أوزارها، وبدأ الغزاة حياة سياسية مع أهل الأرض المغزوة، ظهرت قلتهم، وضعف أثرهم، وبدأ المستوطنون منهم يهجرون لغتهم الأصلية، متأثرين بلغة البيئة الجديدة وخير مثال لهذا غزو النورمندان لانتجرا في القرن الحادي عشر⁽⁵⁶⁾.

2- غزو كثر الغزاة فيه، وتبعه موجات من الهجرات لتلك الشعب الغازي، وجاءت بطوائف كثيرة يستعمرون الأرض، ويشترون في منها وحرفها، وبهذا يكون الغزاة الطبقة العليا والوسطى، في حين أن من قهرها يكونون الطبقة الدنيا، فلا تلبث اللغة المغزوة في صراعها إلا زمنا قصيرا بعده، تنهزم تاركة أثارا ضئيلة في اللغة الغازية التي تشجع بين الناس وتصبح لغة العام والخاص⁽⁵⁷⁾.

3- هجرة شعب إلى أرض معمورة دون غزو منظم يقوم به جيوش محاربة، وإنما الأمر منافسة في طلب العيش⁽⁵⁸⁾.

وتخلص من استقراء هذه العوامل أن احتكاك اللغات الغازية بالمغزوة يولد أنواعا جديدة من اللهجات، تباين فيما بينها، وتتطور تطورا مستقلا في البيئة الجديدة، وخير مثال على ذلك احتكاك اللغة العربية باللغات الأجنبية في القرن التاسع عشر، بغزو المستعمر الفرنسي للغرب العربي، فست العربية أثار جديدة من تغير في اللهجة ودخول ألفاظ وتراكيب فرنسية في الحديث اليومي. وقد وضع علماء اللغة لهذا الصراع مراحل، تظهر في كل مرحلة عوامل تساعد على انحلال اللغة المتهورة، والتضاء عليها وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى: تنذف اللغة الغالبة بظانفة كبيرة من مفرداتها فتوهن المن الأصلية للغة المغلوبة وتجرد من الكثير من مقوماته، ولكن اللغة المغلوبة تظل طوال هذه المرحلة محتفظة بقواعدها، ومخارج حروفها، وأساليبها في نطق الكلمات، فيؤلف أهلها عباراتهم ويصرفون مفرداتهم وفقا لتقاعدهم النطقية والمورفولوجية (السنسكس والمورفولوجيا)، وينطقون بالفاظهم الأصلية وما انتقل إليهم من ألفاظ دخيلة طبقا لأسلوبهم الصوتي ومخارج حروفهم، حتى أنهم يستبدلون في الكلمات الدخيلة بالحروف التي لا توجد لها نظير لديهم، حروفا قريبة من حروف لغتهم⁽⁵⁹⁾.

المرحلة الثانية: تتغير مخارج الحروف ويقترب النطق بها من النطق بأصوات اللغة الجديدة شيئاً فشيئاً حتى تصبح على صورة تطابق أو تقارب الصورة التي هي عليها في اللغة الغالبة، وذلك بأن يصرف المغلوب تصرف الغالب في النطق بالأصوات، فتتسرب بذلك أصوات اللغة الغالبة إلى اللغة المغلوبة الفاظهم الأصلية وما إلى لغتهم من كلمات دخيلة متخذين نفس المخرج ونفس الطريقة التي يسير عليها النطق في اللغة الغالبة، وهذه المرحلة تعد أخطر مراحل الصراع اللغوي، إذ يزداد فيها اختلال اللغة المغلوبة ويشد قهرها من اللغة الغالبة⁽⁶⁰⁾.

المرحلة الثالثة: تفرض اللغة المنتصرة قواعدها وقوانينها اللغوية الخاصة بالجميل والتراكيب، وبهذا تزول معالم اللغة المتقهرة، وجبئاً تبدأ اللغة المنتصرة في إحلال أخيلتها واستعارتها، ومعانيها المجازية، محل الأخیلة والاستعارات والمعاني للغة القديمة التي تموت شيئاً فشيئاً إلا أن النصر لا يتم للغة من اللغات، إلا بعد أمد طويل⁽⁶¹⁾.

والخلاصة أنه متى اجتمعت لغتان في صعيد واحد فإنه لا مفر إطلاقاً من أن تتأثر كل منهما بالأخرى، سواء ذلك أنغلبت إحداها على الأخرى أم بقيت كل واحدة منها بجوار أختها⁽⁶²⁾.

وقد حدد اللغويون قواعد تنص على أن اللغة لا تغلب على لغة أخرى إلا إذا توفرت الأسس التالية:

- 1- أن تكون اللغة الغالبة لغة شعب متحضر، أرقى من الشعب المغلوب في حضارته وثقافته، وأقوى منه سلطاناً وأوسع نفوذاً.
 - 2- أن تبقى غلبة الغالب زمناً كافياً، مع استقرار قوته، لتتمكن اللغة الغالبة من بسط نفوذها، ويتم لها نصر حقيقي.
 - 3- أن تكون هناك جالية كبيرة العدد والنفوذ، تقيم بصفة دائمة في بلاد الشعوب التي غلبت لغتها، وتزج بأفراد هذا الشعب، ولا تعيش إطلاقاً في عزلة عنه.
 - 4- أن تكون اللغتان الغالبة والمغلوبة من شعبة لغوية واحدة، أو شعبتين متجاورتين⁽⁶³⁾.
- هذا وقد انتبه علماءنا الأوائل إلى الأثر الذي تتركه اللغات في بعضها البعض إذا احتكت أو تصارعت، لسبب أو لآخر، فنجد "ابن خلدون" يشير إلى ذلك في مقدمته إذ يقول: "وهذه ملكة ممتزجة من الملكة الأولى التي كانت للعرب ومن الملكة الثانية للعجم، فعلى مقدار ما يسمعون من العجمة ويرون عليه يعدون عن الملكة الأولى"⁽⁶⁴⁾.
- وقد أشار إمام اللغة "ابن جني" إلى هذه القضية في قوله: "وأعلم أن العرب مختلف أحوالها في تلقي الواحدة منها لغة غيره، فمنهم من يخف ويسرع قبول ما يسمعه، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة، ومنهم إذا طال تكرار لغة غيره لصقت، ووجدت في كلامه"⁽⁶⁵⁾.
- ولا جدال أنه كما أثرت اللغة العربية في لغة غيرها من الأمم تأثيراً بيناً، نجد أنها قد تأثرت في سائر لغاتها وخصائصها بلغات غيرها، وذلك نتيجة اتصال العرب بأمة أخرى، بدليل وجود ألفاظ فارسية وحشيشية ويمنية وغيرها في لغة العرب مثل: الصرح، الخيمة، الصومعة، المشكاة، المائدة، وصواع وكلها ألفاظ حبشية.
- و هذا عائداً إلى أن العرب لم يعيشوا في عزلة عن غيرهم، أو عن اتصال بعضهم ببعض، فالحياة الاجتماعية تحتاج إلى صلات وروابط بين الأفراد والجماعات والشعوب، وقد تبيأت لهم وسائل هذا الاتصال عن طريق تبادل المنافع وعن طريق الغزو والسيطرة⁽⁶⁶⁾.

ذلك لأن الإنسان مدني بطبعه، يحتاج إلى غيره فيلجأ إلى الهجرة لأسباب تجارية أو دينية أو لاستعمارية أو لأسباب أخرى.

وبديهي أن تلك الاتصالات تحتاج إلى معرفة هؤلاء وهؤلاء بلغة الآخرين حتى يمكنهم التفاهم وتوثيق الصلات أو إخضاع جماعة ما لسيطرتهم، وهذا يؤدي إلى احتكاك اللغات بعضها ببعض ونشوب صراع بينها بالتوسع وضرورة الاتصال يقتضي معرفة لغات عدة معرفة جيدة⁽⁶⁷⁾.

إضافة إلى أن الصراع بين اللغات صراع طويل الأمد، كلما كان الصراع عنيفاً والمقاومة قوية من جانب اللغة المغلوبة وخاصة إذا كانت اللغتين من فصيلتين لغويتين مختلفتين... ذلك أن احتكاك اللغات ضرورة تاريخية واحتكاك اللغات يؤدي حتماً إلى تداخلها... فإذا احتكت لغتان إحداها بالأخرى أثرت كل منهما على صاحبتها حتى ذهب بعض علماء اللغة، إلى أنه لا توجد لغة غير مختلطة ولو إلى حد ما... كما أنه من الخطأ أن تصور كون المنافسة بين لغتين متماستين تحدث دائماً على وتيرة واحدة في كل الحالات، لأن قوة اللغات ليست واحدة، ومن ثم كانت تختلف قدرتها على المقاومة.

ومنه نخلص إلى أن الصراع بين أي لغة وأخرى لا يتم إلا وفق قواعد وأسس حددتها قوانين الصراع اللغوي، وأن اللغة التي تتم لها الغلبة لا تخرج سليمة من هذا الصراع، مما كانت قوتها، بل أن طول احتكاكها باللغة المغلوبة يجعلها تتأثر في كثير من مظاهرها الصوتية والتركيبية والدالية.

هـ أسباب لغوية: إن علماء اللغة يسلّمون بأن للطبيعة أثر في اللغة: المناخ والطوبوغرافيا والطعام وخلقها، ولكن هذا الأثر طفيف ويظهر في المفردات لا في التراكيب، ولذلك نرى أن علماء اللغة يميلون إلى تعليل التغير اللغوي عن طريق العصر الإنساني، فهناك نواميس لغوية تحكم بمصير اللغة، ولكن هذه النواميس مردها في آخر الأمر إلى الإنسان ذاته، وهذه النواميس اللغوية هي:

أ- تغيرات في لفظ الحروف المصوتة (الحركات).

ب- تغيرات في لفظ الحروف الصامتة.

ج- تغيرات في المفردات من جهة المبني والمعنى.

د- تغيرات في التركيب⁽⁶⁸⁾.

ويبدأ الخلاف بين اللهجات من ناحيتين: إحداها الناحية المتعلقة بالصوت فتختلف الأصوات (الحروف) التي تتألف منها الكلمة الواحدة، وتختلف طريقة النطق بها تبعاً لاختلاف اللهجات، والأخرى الناحية المتعلقة بدلالة المفردات، فتختلف معاني بعض الكلمات باختلاف الجماعات الناطقة بها⁽⁶⁹⁾.

ونجد الدكتور "علي عبد الواحد وافي" يذكر عوامل أخرى لنشأة اللهجات وانشعابها عن اللغة الأم، إضافة إلى العوامل الجغرافية والاجتماعية والفردية واحتكاك اللغات وعوامل أخرى، وهذه العوامل هي:

- 1- اختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب، فمن المقرر أن هذه الأعضاء تختلف في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعاً لاختلاف الشعوب والتي تنتقل بطريق الوراثة من السلف إلى الخلف⁽⁷⁰⁾.
- 2- التطور الطبيعي المطرد لأعضاء النطق، فمن المقرر أن أعضاء النطق عند الإنسان في تطور طبيعي مطرد في بنيتها واستعدادها ومنهج أدائها لوظائفها، فنجارنا وحبالنا الصوتية وألسنتنا وحلقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين.

3- سقوط الأصوات الضعيفة، فقط يحيط بالصوت بعض المؤثرات تعمل على ضعفه بالتدرج كوقوعه آخر الكلمة، فيكون حينئذ عرضه للسقوط.

4- موقع الصوت في الكلمة يعرضه لكثير من صوف التطور والانحراف، وأكثر ما يكون ذلك في الأصوات الواقعة في أواخر الكلمات.

5- تناوب الأصوات المتحددة النوع القريبة المخرج، وحلول بعضها محل بعض فكل صوت لين عرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت لين آخر، وكل صوت ساكن عرضة لأن ينحرف إلى صوت ساكن متحد معه في مخرجه أو قريب منه.

6- تغير مدلول الكلمة في انتقالها من السلف إلى الخلف، فكثيراً ما ينبج عن هذا الانتقال تطور في معاني المفردات، ويساعد على ذلك كثرة استخدام بعض المفردات في غير ما وضعت له عن طريق المجاز⁽⁷¹⁾.

إذن تلك هي أهم أسباب نشأة اللهجات وانفصالها عن اللغة الأم واختلافها عن شقيقاتها، وقد تأتي هذه الأسباب مجتمعة لتشعب اللغة الواحدة إلى لهجات، كما قد توجد بعضها دون الآخر. واللغة العربية ليست بدعاً من اللغات، فهي كسائر اللغات تخضع للنواميس اللغوية العامة التي تخضع لها تلك اللغات في حياتها وتطورها. فكانت الأسباب الجغرافية والاجتماعية والفردية واللغوية واحتكاك اللغات من أهم عوامل إيجاد اللهجات قديماً وحديثاً.

قائمة المراجع:

- 1- ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب، 1902، ج1، ص33.
- 2- ابن خلدون، المقدمة (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الكبير، تح: لؤي، الفكر، بيروت لبنان، ص1، 2003، ج1، ص 1052.
- 3- ميشال زكريا، الألسنية، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، 1987، ط2، ص228.
- 4- عدنان يوسف، علم النفس المعرفي، دار السيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004، ص15.
- 5- جوانب النظرية النحوية لتسومسكي، ص59 عن حلمي خليل، مقدمة لدراسة اللغة، ص64.
- 6- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، الأخبار، 1911، ج1، ص337-338.
- 7- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ج12، ص340.
- 8- إبراهيم نجا، اللهجات العربية، اللهجات العربية، ط السعادة، مصر، ص91.
- 9- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتب الأنجلو المصرية، القاهرة، ص8، 1996، ص16.
- 10- عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية، نشأة وتطورا، الفكر العرب، القاهرة، 1998، ص33.
- 11- توفيق محمد شاهين، علم اللغة العام، مكتب الوهبة، ص1، 1980، القاهرة، ص131.
- 12- عبد الغفار حامد هلال، المرجع سابق، ص26.
- 13- رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة، الخانجي، القاهرة، ط3، 2013، ص73.
- 14- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مرجع سابق، ص16.
- 15- عبد الغفار حامد هلال، المرجع السابق، ص392.
- 16- سهام مادن، اللهجات العربية القديمة، كوز الحكمة، الجزائر، ص12.
- 17- ينظر: علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، السلفية، 1938، نهضة مصر، ص169-172.
- 18- علي عبد الواحد وافي، مرجع سابق، ص170.
- 19- علي عبد الواحد وافي، المرجع نفسه، ص172-173.
- 20- علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، مكتبة عكاظ، السعودية، ط4، 1983، ص23.
- 21- مازن المبارك، نحو وعي لغوي، مكتبة الغرابي، دمشق، 1970، ص40.
- 22- ماريوباي، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، ط2، 1983، سجل العرب، ص99.
- 23- عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، المعرفة الجامعية، 1998، ص37.
- 24- فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد البواخلي ومحمد القصاص، لجنة البيان العربي، 1950، ص27.
- 25- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مرجع سابق، ص22.

26- william downes, language and society, cambridge university, press. 2nd edition, 1998, p179.

- 27- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص20.
- 28- ينظر: علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، مرجع سابق، ص208.
- 29- فندريس، اللغة، مرجع سابق، ص428.
- 30- رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مرجع سابق، ص147.
- 31- عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الجغرافية في التراث، دار هومة، الجزائر، ص47.
- 32- عبد الجليل مرتاض، المرجع نفسه، ص47.
- 33- أنيس فريجة، نحو عربية ميسرة، الثقافة، بيروت، دت، ص75.
- 34- أنيس فريجة، اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجليل، بيروت، ط1، 1989، ص69.
- 35- هلال عبد الغفار حامد، اللهجات العربية، مرجع سابق، ص33.
- 36- فندريس، اللغة، مرجع سابق، ص315.
- 37- علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، مرجع سابق، ص272.
- 38- مصطفى صادق الرافعي تاريخ آداب العرب، مرجع سابق، ص65.
- 39- ستيفن اولمان، دور الكلمة في اللغة، ص103.
- 40- كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، دار غريب، 1997، ص198.
- 41- ماريوباي، أسس علم اللغة، مرجع سابق، ص99.
- 42- فندريس، اللغة، مرجع سابق، ص29.
- 43- عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، مرجع سابق، ص39.
- 44- أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص36.
- 45- أنيس فريجة، اللهجات وأسلوب دراستها، مرجع سابق، ص87.
- 46- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مرجع سابق، ص196.
- 47- عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، مرجع سابق، ص39.
- 48- عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، النهضة العربية، بيروت، 1972، ص109.
- 49- علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، مرجع سابق، ص229.
- 50- فندريس، اللغة، مرجع سابق، ص349-350.
- 51- رمضان عبد التواب، مدخل إلى فقه اللغة، مرجع سابق، ص258.
- 52- فندريس، اللغة، مرجع سابق، ص34.

- 53- ينظر: توفيق محمد شاهين، علم اللغة العام، مرجع سابق، ص 129-131.
- 54- المرجع نفسه، ص 130-131.
- 55- ينظر: على عبد الواحد وافي، علم اللغة، مرجع سابق، ص 229-232.
- 56- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 22.
- 57- المرجع نفسه، ص 22.
- 58- المرجع نفسه، ص 22.
- 59- على عبد الواحد وافي، علم اللغة، مرجع سابق، ص 236.
- 60- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص 175.
- 61- نفس المرجع، ص 176.
- 62- على عبد الواحد وافي، علم اللغة، مرجع سابق، ص 223.
- 63- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص 177.
- 64- ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص 1079.
- 65- ابن جني، الخصائص، ص 383.
- 66- عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية، ص 37.
- 67- فندريس، اللغة، ص 341.
- 68- أنيس فريجة، اللهجات وأسلوب دراستها، ص 91.
- 69- على عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص 176.
- 70- على عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص 106.
- 71- ينظر: على عبد الواحد وافي، علم اللغة، مرجع سابق، ص 109-113.